علماء الروحية وتحريف المسيحية

فى مقدمة الطبعة الثانية لكتابه المعنون «**المسيحية والروحية**» الصادر فى فرنسا عام ١٩٢٠، يقول ليون دنى: «منذ أكثر من قرن مضى والكنيسة هنا تمر بفترة من أصعب مراحلها. وقد أدى قانون فصل الدين عن الدولة، الصادر عام ١٩٠٥، إلى تفاقم الموقف. فقد راح المجتمع المعاصر يتباعد عنها والنخبة المثقفة تركتها، بينما تزايد صراعها مع القوانين المدنية الحديثة كافة ومع القوانين المدنية لمختلف البلدان.. بل لقد ناصبها العداء جزء كبير من الشعب وخاصة الطبقة العاملة بحيث لم يبق لها إلا المسنين من الرجال والنساء والأطفال الذين لا يفقهون أحاييلها. ومن ناحية أخرى فلم يعد المستقبل ملكا لها خاصة بعد إنتزاع تعليم الشباب من براثن سلطانها».

ويرجع ليون دنى السبب فى ذلك إلى إهمال الكنيسة لمطالب الشعب الحقيقية وإهدارها، فهى فى واقع الأمر لم تكن شعبية إلا فى أوائل مراحل تكوين المسيحية، حينما كانت تهتم بالبسطاء من الناس وتعتمد عليهم. ومنذ اليوم الذى اعترفت فيه الامبراطورية الرومية بالكنيسة تحولت الكنيسة إلى مؤسسة تابعة للقياصرة وحليفة للسلطة واتخذت جانب الأقوى، وسرعان ما بدأ الصراع بين السلطتين! وبذلك انطفأت شعلة الحياة بداخلها بحيث لم تعد قادرة على الاستمرار إلا بفضل أصداء متباعدة من الماضى. لم تعد روح المسيح وتعاليمه هى التى تقود خطاها وإنما الخطب الرسولية للبابوات والقوانين التى يسنونها وفقًا لأهوائهم. وقد باءت محاولات الإصلاح بالفشل، فما أكثر رجال الدين الذين زجّت بهم الأيادى العابثة فى الكنيسة لتدفع بهم بعيداً عنها فى غياهب النسيان، لمجرد أنهم يخالفونها الرأى أو لا يجارونها فيما تقوم به من تحريف وتلاعب بالحقائق.

وهنا يؤكد الباحث قائلاً: إن المسيح لم يقم بتأسيس دين ظالم يستعبد به مختلف الشعوب، وإنما أتى ليبلّغ رسالة حب التسامح وحب الآخر وعمل الخير

للجميع. ثم ينتقل إلى أكبر خطأ – فى نظره – ارتكبته الأيادى العابثة فى الكنيسة فى القرن التاسع عشر، وهو: إعلان معصومية البابا من الخطأ وفرض هذه المعصومية ضمن عقائد الإيمان، وإن البابا وحده يمتلك كل الحقيقة وكل المعرفة وكل العلم!. ثم يتساءل قائلاً: ألا يعنى ذلك أن هذا الإعلان يعد بمثابة تحدٍ للإنسانية بأسرها؟! وفى البحث عن الأحداث وأسبابها يرى أن سبب تدهور الكنيسة وأفول شعبيتها يرجع إلى أنها وضعت البابا مكان الله، إضافة إلى أن رجالها قد نقضوا تعاليم يسوع وارتباطهم به – وإن كان يعلق كل آماله على الصحوة الجديدة التى بدأت تتألق بزيادة معارفنا بعلم الروحية، إذ يورد عن الأرواح العليا المرشدة ما قالته فى إحدى الجلسات من «أن الحقائق الخالدة الكبرى قد أنزلها الله إلى العالم فى مختلف الفترات لتكون معينا لكم.. وكثيرا ما تباعد الناس عنها بسبب رعونة البعض.. وعدم الاكتراث هذا قد تسبب فى الاضمحلال والفساد الذى يدفع بالأمم إلى ضياعها».

وبمناسبة الحديث عن معصومية البابا من الخطأ وكل ما أثارته من ردود أفعال حتى يومنا هذا، لأبد من إضافة أن مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٥) قد أضاف إليها بدعة جديدة بإنشاء نظام «الحكم المجمعى» المعروف باسم (collégialité)، أى أنهم جعلوا للبابا المعصوم من الخطأ مساعدين له فى الحكم والسلطة. ولا يسع المجال هنا لنورد كل ما أثاره هذا القرار، وهل سينطبق عليهم «معصوميته من الخطأ» أم لا، وهل الإنسان المعصوم من الخطيئة فى أقواله وأفعاله يمكن أن يكون قد أتى إلى الدنيا عن طريق الخطيئة الأولى أم سيتم إعلان وتطبيق نظرية أو عقيدة «الحمل العذرى» عليهم أيضاً..؟!

ومثله مثل كل علماء الروحية، يؤكد ليون دنى أن السيد المسيح من أكبر الرسل والأنبياء المرسلين، وأنه لم يأت إلا ليؤكد على وحدوية الله الحى القيوم، الذى لا شريك له فى الملك وإليه ترجع الأمور. وأن المسيح قد اختار حوارييه من بين البسطاء من الناس الذين يتمتعون بقدرات روحية عالية. وهو ما نطالعه فى

إنجيل متى بوضوح: «تم دعاء تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف»(١٠ : ١)، و«هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل أذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون كرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى. طهروا بُرصًا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا. لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا فى مناطقكم. ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا. لأن الفاعل مستحق طعامه» (١٠ : ٥ – ١٠). ونخرج من هذه الآيات بأن الحواريين كانوا يتمتعون بدرجة عالية من الوساطة، ويقومون بنفس ما كان هو، يسوع ، يقوم به بأمر الله، وإن رسالتهم كانت تنحصر فى «خراف بيت إسرائيل الضالة»، وليس لتنصير العالم كما يزعمون حاليا. وأهم ما فى رسالة العطاء والمساعدة وشفاء المرضى أن يتم كل ذلك مجانًا وبلا مقابل، وهذه هى القاعدة الأولى فى المجال الروحى التى ينادى بها علماء الروحية كافة.

وعلى الرغم من هذا الوضوح الشديد فى تعاليم السيد المسيح، فإن الصراعات العقائدية الكبرى التى اندلعت بسبب التحريف فى العقيدة الأساس وتأليه السيد المسيح واختلاق بدعة الثالوث والشرك بالله – تلك البدع التى اجتاحت العالم المسيحى وأدت إلى مذابح دامية بينهم وبين من أطلقوا عليهم «المنشقون»، قد دفعت البابا دمازيوس، عام ٣٨٤، إلى أن يطلب من القديس چيروم القيام بعمل ترجمة لاتينية للعهد القديم والعهد الجديد. وأصبحت هذه الترجمة هى الوحيدة المعتمدة من الكنيسة والمعروفة باسم «الڤولجات» (Vulgate) أى «**الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس**». ويكفى أن نطالع ما كتبه من صاغ نصها لندرك حقيقة ما تم من تلاعب فى النصوص السابقة لها.

ويقول القديس چيروم فى مقدمة ترجمته للعهد الجديد، موجها خطابه إلى البابا دمازيوس: «**إنك تجبرنى** على عمل نص جديد من نصوص قديمة.

وتطلب منى أن أضع نفسى حَكَمًا بين مختلف الأناجيل المتناثرة فى كل مكان. وبما أنها تختلف عن بعضها بعضًا فإنك تطلب منى أن أختار من بينها ما يتفق والنص اليونانى. ولا شك أن ذلك يمثل جهدًا مضنيًا لكنها جرأة محفوفة بالمخاطر، إذ يتعيّن علىّ أن أقوم بتغيير نصوص الآخرين. وهنا لابد من أن أتساءل من هو العالِمْ أو حتى الجاهل الذى سيطالع النص الجديد الذى كتبته أنا ولن يبدأ فى الصراخ بعد أن يقرأه ويرى الاختلافات الشديدة التى بينه وبين تلك الأناجيل التى اعتاد قراءتها، ثم يتهمنى بأننى مدنّس ومزور، لأننى تجرأت على إضافة أو تغيير أو تصويب النصوص القديمة؟ والنص اللاتينى للقديس چيروم هو: "Me clamitans esse sacrilegum qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere?".

ثم يواصل القديس چيروم فى تلك المقدمة قائلاً: «لكن هناك هدف مزدوج القيمة يواسينى حيال هذه التهم، أولاً: إنك أنت، الحبر الأعظم، الذى يأمرنى بعمل ذلك التغيير فى النصوص، ثانيًا: أن الحقيقة لا يمكن أن توجد فى نصوص بمثل هذا الاختلاف، حتى وإن أقرها البعض».. وينهى القديس چيروم مقدمته قائلاً: «إن هذه المقدمة القصيرة تنطبق على الأناجيل الأربعة وحدها، وترتيبها كالآتى: متى، مرقس، لوقا، يوحنا. فبعد أن قمت بمقارنة عدد النسخ اليونانية القديمة، التى لا تختلف كثيرًا عن النص الإيطالى القديم، قمت بدمجها (ita calamo temperavimus)، وقمت بتصحيح ما بدأ لى أنه يغيّر المعنى، وحافظت على الباقى كما هو حتى يستقيم النص» (الأعمال الكاملة للقديس چيروم، طبعة (Bénédictins, 1693, T.1, col. 1425).

وهنا يعلّق العالم ليون دنى قائلاً: «أى أن ما يطلقون عليه «القولجات» بمعنى النص الأصلى للأناجيل، هى عبارة عن ترجمة من اليونانية ومنتقاه من بين نصوص عديدة تختلف عن بعضها بعض كما يقوله كاتبها: (tot sunt enim exemplaria quat codices)، وهى ترجمة قد تم تصحيحها وتغييرها

وتغييرها وتعديلها وإضافة نصوص قديمة إليها كما رأينا فيما تقدم. إلا أن هذا النص «الرسمى» للأناجيل، الذى تصور من أعطى الأمر بفبركته أنه سيكون النص النهائى، فقد تم تعديله مرات أخرى على فترات مختلفة من قِبَلْ العديد من البابوات. فما بدأ مقبولاً فيما بين ٣٨٦ و١٨٥٦، وما كان قد تم اعتماده فى المجمع المسكونى لمدينة ترانت عام ١٨٤٦، قد أعلن البابا سكست الخامس عام ١٥٩٠ أنه خطأ وغير مجدى!!

«وقامت الكنيسة بعمل مراجعة جديدة، إلا أن النص الناجم عن هذه المراجعة قد قام البابا كليمانت الثامن بتغييره مرة أخرى. وذلك النص الناجم عن كل التعديلات السابقة هو الذى تمت ترجمته إلى مختلف اللغات ويقرأه المسيحيون على أنه النص المنزّل ويعترونه نصا مقدسا- وقد رأينا ما اعتراه من تعديل وتبديل على مر العصور».

وما يأسف له ليون دنى أن كل أقوال يسوع وأفعاله التى تتضمنها هذه الأناجيل لا يمكن أن ننسبها جميعها إليه.. فكم من أقوال تم نسيانها وكم من أفعال قابلة للمناقشة لعدم مصداقيتها يتم قبولها على أنها حقيقة، وكم من تعاليم أسىء فهمها أو تم تحريفها عن أصلها بأيدى البابوات والمجامع التى كان يتعيّن عليها الحفاظ على مثل هذه الأقوال بلا أى تحريف. فمنذ القرن الثالث راحت المؤسسة الكنسية تفرض من التعاليم المحرّفة التى اختلقتها ما يمثل تحدياً للعقل والمنطق من جهة، وتعتيما متعنت الإصرار لفكر يسوع وأقواله. وهو ما بدأ قبل مجمع نيقية بكثير، ذلك المجمع الذى فرض ألوهية يسوع عام ٣٢٥ ثم اختلاق الثالوث بمعنى إله واحد بثلاث شخصيات أو أقانيم كما يقولون، انتهاءً بمجمع روما عام ١٨٧٠ الذى فرض معصومية البابا من الخطأ، وقبلها عقيدة الخطيئة الأولى والحمل العذرى. الأمر الذى أدى بعدد لا يحصى من البشر إلى الإلحاد أو اليأس من دينهم. وهو ما يتنافى مع عقيدة يسوع القائمة على حقيقة الإله الواحد، خالق ومدبّر كل شىء، وأن كل البشر إخوة، فكل تعاليمه

الحقيقية تفتح مجال الكمال عن طريق حب القريب والتفانى فى إسعاد البشر . أليس هو القائل: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»؟ (متى ٤ : ١٠) فأين كنيسة اليوم من ذلك كله؟!

ويوضح ليون دنى كيف أن فكرة تأليه يسوع قد رفضتها ثلاثة مجامع، وأهمها مجمع انطاقية عام ٢٦٩، إلا أن مجمع نيقية الذى دعا إليه وترأسه الإمبراطور قسطانطين، قد فرضها قهراً عام ٣٢٥ رغم أقلية الأصوات التى أيدت هذا التحريف، إضافة إلى قرار حرمان كل من يعارض ذلك وإلقاء اللعنة عليه! كما قام نفس ذلك المجمع بتغيير موعد عيد الفصح وتثبيته فى يوم الأحد لإبعاده عن عيد اليهود.

والغريب كما يوضح ليون دنى ان عملية التأليه هذه تتنافى تماماً حتى مع معتقدات الحواريين، فبينما كانوا جميعاً يؤمنون بأن يسوع نبى من أنبياء الله ورسولاً من الرسل التى أرسلها لهداية الناس بتعاليم الحب والتسامح، وراحت أساقفة القرن الرابع تعلن أنه مساويا لله وأحد أقانيمه الثلاثة! علما بأن ذلك يتنافى مع أقوال السيد المسيح نفسه والذى لم يكف عن ترديد «أن أبى أفضل منى»، و«أن أبى أرسلنى» وكل ما رأينا من أقوال واردة فى الفصل السابق، بل لا يوجد ما ينفى فعلتهم الشعواء هذه مثل قول يسوع الذى يحسم القضية بكل وضوح قائلاً: «أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (يوحنا ٨ : ٤٠)، وهو ما تؤكده أيضاً الآية التالية من أعمال الرسل: «يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلْ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيَدِه فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون» (٢ : ٢٢)، أى أن يسوع كان يقوم بهذه العجائب بأمر من الله. ونجد نفس المعنى وارداً فى إنجيل لوقا أيضاً إذ نطالع: «يسوع الناصرى كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب» (٢٤ : ١٩). ويقول بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «لأنه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح».

والوسيط، كما يشير بولس فى الآية السابقة يعنى حلقة وصل بين الله والناس. وتلك هى رسالة يسوع فى نظره: وسيط وليس فادى البشر، لأن فكرة الفداء – على حد قول ليون دنى – تتنافى مع العقل والمنطق. وعندما تعلن الكنيسة أن يسوع قد أفتدى البشر ليشترى خلاص الإنسانية، وكانت الكنيسة من قبل قد أعلنت أن يسوع هو والله واحد اقانيمه الثلاثة، فذلك يعنى أن يسوع قد افتدى نفسه لنفسه، أو أنه قد قدّم نفسه قربانا لنفسه، وهو ما لا يقبله عقل ولا منطق!

لذلك يؤكد ليون دنى فى نفس هذه الجزئية أنه وفقًا لتعاليم الروحية فلا يمكن لإنسان أن يفدى نفسه نيابة عن أخطاء الآخر، فكل إنسان مسئول عن نفسه فحسب أمام الله، فما بالنا ببدعة أن يفدى إنسان ما البشرية جمعاء بحياته؟! إن سُنَة الطبيعة تؤكد أن كل إنسان عليه أن يتعلم ويتقدم ويتطور إلى الأحسن ويتحمل مسئولية أخطائه وأفعاله ولا يمكن لأى شخص آخر أن يدفع ثمن هذه الأخطاء والأفعال.. لذلك يضيف قائلاً: إن كافة الأشكال والطقوس العبادية للكنيسة الرومية هى موروثات من الماضى الوثنى. وكل تلك الأحتفالات الغارقة فى البذخ والأوانى المصنوعة من الذهب والفضة، والأغانى الدينية، والتطواف بالأشياء المقدسة، ومياه التعميد مأخوذة كلها من عبادات أخرى. فالمذبح مأخوذ عن البراهمانية، والخبز والخمر من القرابين المقدمة للآلهة، ومن البوذية نقلوا عادة تبتلّ القساوسة والتدرج فى الإكليروس، وحلّة القداس منقولة عن كهنة الشمس، وثوب الكاهن الأسود مأخوذ عن مقدمى القرابين للإله ميثرا، وحلّة القّداس الذهبية كانت تستخدم فى المعابد المصرية القديمة، وتاج الأسقف منقول عن الكلدانيين، وعصا الأسقفية من العّرافين الروم..

ووسط هذا الزخم المتراكم للأشكال المادية والعبادية، فى هذا الميراث المثقل لديانات وعقائد ولّت، والتى تمثل المسيحية الحالية، يصعب علينا التعرف على أقوال يسوع وفكره، خاصة وأن مؤلفى الأناجيل لم يذكروا شيئًا عن العقائد

وعبادات الإكليروس. ومن المعروف أنه لم يكن هناك من هو أقل اهتماماً بكل هذه الشكليات والممارسات من يسوع الذى لم يناد إلا بالمشاعر السامية وسمو الفكر والإنسانى وبساطة القلب ونقائه.

وتحت عنوان فرعى هو «اضمحلال المسيحية»، كتب ليون دنى قائلاً: لقد انقضى تسعة عشر قرناً منذ أيام المسيح، تسعة عشر قرنا من السلطة الكنسية المستبدة، منها اثنى عشر قرنا من السلطة المطلقة الظالمة. فما هى نتيجة تعاليمها حالياً؟ فيجيب قائلاً: لقد سيطرت الكنيسة طوال اثنى عشر قرنا بسلطة مطلقة عجنت وشكّلت خلالها روح الإنسان المسيحى وكيّفت المجتمع وفقاً لهواها. فكل السلطات كانت بيدها وكل التشريعات كانت تصدر عنها وكل أنواع العقاب والتعذيب هى التى كانت تتفنن فيها.. كانت تتحكم بالكلمة وبالكتاب وبالحديد والنار.. كانت الكنيسة هى الحاكم المطلق للعالم المسيحى بلا أى رادع ولا أية حدود. فما الذى فعلته بالمجتمع؟ وما الذى أدى إليه كل هذا القهر والقمع؟ إن تجاوزات رجال الدين فى مختلف المجالات وأخطاءهم وإفراطهم فى الإنحراف هو الذى تولد عنه مجتمع اليوم الذى لا يمكنه قبول ممارساتها ولا ما تفرضه من عقائد لا يقبلها العقل ولا المنطق. والحقيقة المرة هى أنه تعاليم الكنيسة لم يمكنها إقناع الضمائر التى ألقت بها فى ظلمات التعتيم والتذبذب والضياع.

لذلك يؤكد ليون دنى أن أكبر اتهام يمكننا توجيهه للكنيسة هو تحريفها وتزييفها مفهوم الله، الذى ليس كمثله شيء، فى عقول الناس. لقد فرضت الكنيسة الرومية بكل جبروت فكرة الله المنتقم الجبار، وهى فكرة كانت ضرورية بالنسبة لها لتتمكن من تحقيق سيطرتها الكاملة على الناس وتحنى كاهلهم تحت سلطتها. ومن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى ردود أفعال عكسية. فبعد أن ظل الناس فى حالة عبودية تحت سلطانها الجارف انتهى بهم الأمر إلى الثورة والكراهية والعداء ضد ذلك الإله الذى نصبت باسمه المقاصل وأقامت المحارق

وسفكت بأسمه دماء ملايين الأبرياء فى حروبها الصليبية وغزواتها الاستيطانية وفى أقبية سجونها الظالمة. وما أبعد ذلك عن تعاليم يسوع، خاصة حينما كان يتحدث عن الله الذى ليس كمثله شيء، أو حينما كان يؤكد ذلك الشعور الحقيقى الوحيد الذى تقوم عليه تعاليمه، وهو الحب.. الحب الحقيقى الذى يثرى الروح ويرقى بها عن أى تدنى ويفتح لها آفاق المشاعر الخلاّقة التى تعمل من أجل الخير.. أليس هو ما قال أَحِبّ الله أكثر من أى شيء وأحبّ قريبك كنفسك؟

ولو أن هذه التعاليم الراقية هى التى سادت واستمرت لوصلت المسيحية إلى قمة الازدهار والقوة.. وإذا ما أردنا إنقاذها من الضياع فعلينا بالعودة الحقيقية إلى تعاليم يسوع النقية. فإذا ما كان دين الحق والعدل عظيماً فالأعظم منه هو دين العفو والتسامح والرحمة. وذلك هو ما يجب أن نكون عليه.

ويواصل ليون دنى قائلاً: وإذا ما ألقينا نظرة خاطفة على العلوم وتطورها لأدركنا الكثير من خبايا الموقف الكنسى. فعلم الفلك الحديث مثلا قد هدم كل ما فرضته الكنيسة على العقول فالكرة الأرضية عبارة عن مجرد عضو ضئيل وسط العائلة الضخمة من الأجرام السماوية وأفلاكها.. وأعماق السماء آهلة بعدد لانهائى من الأجرام والنجوم، وفى كل مكان بها توجد أراضٍ وشموس وأفلاك تتكون وتتطور أو تخبو وتضمحل، أى أن هناك عملية خلق متواصل رائعة الجمال، خالدة، تتضاعف فيها أشكال الحياة وتتتالى وتتجدد على الدوام.. ووسط هذه العوالم الشاسعة يبدو كوكب الأرض وكأنه عبارة عن حبّة رمل أو ذرة من الذرّات الهائمة فى الفضاء الرحب، وليست محور الكون كما ظلت الكنيسة تردد وتفرض ولاتزال.

إن تقدم العلوم وما تكشف عنه تعاليم الأرواح العليا تؤكد أن الحياة تزدهر على سطح هذه العوالم وتتدرج فى رقيها عبر مراحل التطور نحو نموذج متكامل من الجمال والكمال. فالشعوب والأجناس الإنسانية المتعددة تواصل

مسيرتها ومصيرها فى تجانس كونى يديره الخالق بكل دقة وإتزان. ولو أن الكنيسة قد فهمت جوهر تعاليم يسوع حقا لامتنعت عن إلقاء اللعنة على العقل والعقلانية، ولامتنعت عن حرمان العلماء أو ذبح الحرية والعلم على مذبح شعوذتها. فالعقل والمنطق اللذان نهرتهما الكنيسة ونبذتهما بعيداً هما أسلم وسيلة تلقاها الإنسان من الله لاكتشاف الحقائق. وعدم الاعتراف بالعقل والمنطق يعنى عدم الاعتراف بالله الذى هو نبع العقل والحكمة.

ويضيف ليون دنى قائلاً: إن نتيجة التربية الدينية الخاطئة فى الغرب، وتأثيرها السلبى المنعكس على الحياة اليومية، يظل عالقا بذهن الإنسان المسيحى الذى آمن بها ويعرّضه لخيبة آمال عميقة قاسية عند انتقاله إلى العالم الآخر.. فكم من مسيحيين قد عادوا إلى حالتهم الروحية وأبلغونا رسائل مريرة تصف ما تعرضوا له من ضيق ومعاناة عندما لم يجدو فى انتظارهم ما ظلت تفرضه عليهم الكنيسة من أقوال عن الجنات الدائمة النعيم وافتداء أعمالهم بوفاة المسيح!. كم كانت آلامهم عندما وجدوا أنفسهم فى الفراغ الشاسع ولا يحيط بهم سوى ذكرى ما اقترفوه من أعمال عليهم أن يدفعوا ثمنها.. وكيف ظلوا هائمين لمدة أعوام بحثًا عن هناء وهمى فى ذلك المجال المختلف تمامًا عما وصفه لهم رجال الاكليروس بمفهومهم الضيق الذى زادته ممارساتهم المتعسفة عتامة.. وحينما كانوا يلتقون فى تجوالهم بهؤلاء الرجال الكنسيين وقد عادوا إلى طبيعتهم الروحية، لم تكن شكواهم أو ما يلقونه من لوم يجد لديهم سوى الاضطراب والقلق.. ويا من تعاليم ضحلة أبعد ما تكون عن إعداد الأشخاص لحياتهم الروحية وحقائق المصير فى عالم الغيب.

لذلك من الصعب القول بأن إيمان الماضى يمكنه أن يولد من جديد، فقد انقطعت الصلة التى كانت تربط الإنسان بالكنيسة إلى الأبد. لم تعد الكاثوليكية قادرة على أن تزود المجتمعات الحديثة بما هى بحاجة إليه لحياتها الروحية ولرقيها الأخلاقى. ألا نرى ذلك فيما يدور من حولنا؟! لم يعد هناك من

يؤمن بها حقا. فقد سادت أخطاء الماضى القديم بعلاّته بحيث إن المرء يتساءل إن كانت الحضارة التى تتلفع باسم المسيحية أفضل من غيرها حقا.. وبالمرارة الواقع الذى يدينها!.

لقد كانت المسيحية فى أيامها الأولى عبارة عن إيمان يشع حيوية ويبعث على الأمل، أما اليوم فلم تعد الكاثوليكية إلا عقيدة جافة مظلمة لا تتوافق وتعاليم يسوع الحقة، إذ ليس لديها ما تقدمه حيال أدلّة النقد العقلانى الذى يواجهها ضد ما تفرضه من عقائد إلا التأكيد والإصرار على عقيدة عاجزة تماماً عن الاقناع.

إن كل التصريحات والخطب الرسولية لا يمكنها فعل أى شىء، لذلك ليس أمامها إلا التغيير من موقفها أو الموت. والكنيسة الرومية لن تستطيع التحكم فى العالم وقيادته. ففى الوقت الحالى[1]، أن مجتمعاتنا تطالب بمفهوم دينى يتوافق مع الكون ومع العلم، مفهوم يشبع العقل والمنطق ويقنعهما بصوابه.. لذلك نقول ان أى إصلاح عقائدى سيكون عقيماً والشعوب لا تخطىء فى حكمها. أن العقيدة بالنسبة لهم هى الكنيسة، والكنيسة بتحالفها مع كل أنواع القهر والقمع لتفرض عقيدة تأليه المسيح وفكرة التثليث قد أصبحت، على حد قول چان چوريس: «أحد أشكال الاستغلال الإنسانى»، لأنها فقدت مصداقيتها لدى الجماهير، والشعب اليوم يريد الحقيقة، الحقيقة كلها.

ويقول الأب ألفريد لوازى فى بحثه المعنون «**حول كتاب صغير**»، رداً على الانتقادات التى إنهالت عليه بسبب كتابه الصغير هذا، وكان عن الكتاب المقدس والكنيسة وكل ما قامت به من تحريف، أن العهد القديم فى مجمله والمفترض فيه أنه يتولى التعليم الدينى والأخلاقى للناس، «فإن الدقة المرجعية غير واردة فيه ولا توجد به أية مصداقية تاريخية أو موضوعية». ويضيف ليون

---

(١) نذكر بأن هذا البحث كتبه ليون دنى عام ١٩١٠.

دنى الذى أورد النص فى بحثه قائلاً: «وذلك هو رأينا أيضًا. ونيتجة لمختلف هذه الحقائق وكثير غيرها، فإن الكتاب المقدس بعهدية لا يمكن اعتباره منزلا من عند الله أو أنه كلام الله. إنه فى الواقع مجرد كتاب تاريخى أو أسطورى خيالى به الكثير من التضارب. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فى كثير من الأحيان تبدو أسفار موسى الخمسة وكأنها منقولة عن نصوص أقدم منها. وهو ما أثبته العالم سويدنبرح فى أبحاثه. وهذا الكتاب ليس بالقدَمْ الذى يتصوره البعض، فقد أعيدت صياغته بعد العودة من أسر بابل لأن ذكر تلك الأحداث وارده به.

«ومما لا شك فيه أنه من صنع البشر وتعبير عن تطلعاتهم ومعارفهم وأخطاءهم. ولكى يضفوا عليها شيئًا من المصداقية لتثبيتها وترسيخها فى عقول الناس قالوا إنها من عند الله!

«ونفس الشىء بالنسبة للعهد الجديد: فالآية التالية من إنجيل متى على سبيل المثال لا الحصر، والتى يقول فيها يسوع: «لكى يأتى عليكم دم زكى سُفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح» (٢٣: ٣٥)، وهو ما حدث فعلاً عند الاستيلاء على القدس سنة ٧٠، فكيف يمكن ليسوع الذى قتل سنة ٣٠ أن يصف ذلك الحدث وبصيغة الماضى؟ الأمر الذى معناه أن يسوع كان حيًا بعد سنة ٧٠؟! والعهد الجديد بعامة يتناقض فى العديد من الأحداث الأساسية التى تمثل أركان العقيدة والأحداث المرجعية فى حياة يسوع، من قبيل تناقض كلماته ساعة الصلب وبالنسبة لبداية ظهوره أو عند رفعه بعد بعثه.. وكلها تجاوزات وتناقضات أن دلّت عن شىء فهو أنها من صنع البشر، وأنها صيغت على مر العصور وفقًا للأهواء والمصالح، وأنها لا يمكن أن تكون موحاه أو من عند الله».

* * *